

إحياء علوم الدين

يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاء لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواففها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو إلا جلد ولحم ودم مشحون بالأقدار والأخبار بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة .

وإن نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كبيرا فتري الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدى الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعترها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم .

فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة .

وقال بعضهم أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لأنني عاشق فقلت له ولم سكت قال لأن معشوقي كان بحدائي ينظر الي فقلت فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر قال فزعم زعقة خر ميتا .

وقال يحيى بن معاذ الرازي C تعالى إذا نظر أهل الجنة الى الله تعالى ذهب عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما طنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلاله هابت وإذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعت في حجري وأنا أردد الكلام فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها .

وقال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن

الإحساس بألم الجوع بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك .

وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة فى خان عطاء بن مسلم شابا وفى يده مديّة وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول .

يوم الفراق من القيامة أطول ... والموت من ألم التفرق أجمل .

قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التى تترحل .

ثم بقر بالمديّة بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا .

ويروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على أعبد أهل الأرض فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول الهى متعتني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول .

ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد